العمل بالعلم (١)

قال ابن الوردي :

في ازدياد العلم ارغام العدى وجمال العلم اصلاح العمل

وقيل في منثور الحكم : « لم ينتفع بعلمه من ترك العمل به » . وقال الفيلسوف باكون : « من يقضي عمره في درس العلوم فهو البليد الكسول ومن يتخذها زينةً وحليةً فهو المتصنع المتكلف فكمال الدرس الاختبار وكمال العلم العمل به لا الاكتفاء بمعرفته » . وكل هذه الاقوال صحيحة لان ثمرة العلم ان يعمل به . والعالم بلا عمل كالشجرة بلا ثمر او كالنحلة بلا عسل . وكل الفوائد التي جناها المجتمع البشري من حدائق العلم انما جنيت بالعمل لا بالعلم وحده . فالعمل أساس التقدم والارتقاء ووسيلة السعادة والهناء وكل أمة ليس فيها ميل الى العمل والاعتماد على النفس تبقى منحطة شقية ولا بد من سقوطها . ان الخالق عز وجل لم يخلق الانسان للبطالة والكسل بل خلقه للسعي والعمل . فوضعه في جنة عدن ليعملها ثم فرض عليه ان يأكل خبزه بعرق وجهه . فالعمل اول الواجبات وهو ضروري لجميع الناس على اختلاف الطبقات وتباين الاطوار والحالات . لا يعفى منه الا الذي أثبته المرض ولا يستغني عنه الا الذي لا نبض به ولا نبض . وذلك للاسباب الآتية :

(١) : انه قوام الحياة وقال بعضهم بل هو الحياة لان الانسان اذا انقطع عن العمل ادركه الاجل . وقيل ان احد الاعيان سأل صديقاً له ما سبب موت أخيه فاجاب انقطاعه عن العمل فقال السائل حقاً ان هذا سبب كاف لاماتة اي انسان كان . وقال صولون الحكيم : « من لا يعمل يجب ان يحكم عليه بالموت » وقد أصاب بهذا القول لان الحركة والسعي من علامات الحياة وواقياتها وعدم العمل من

(١) خلاصة محاضرة للاستاذ انيس افندي سلوم القاها في ردهة المجمع العلمي في ٢٤ تشرين الثاني سنة ١٩٣١ م .

مفسداتها ومهلكاتها ولنا في عالم الطبيعة امثلة كثيرة توضح هذه الحقيقة . فالماء المنحدر من ينبوعه متدفقاً فوق الصخور او مترقرقاً على حصى الاودية كالبلور يبقى صافياً لامعاً عذباً ما دام جارياً بقوة ولكنه اذا ركد أجن وأنتن وصار مأوى للحشرات القذرة والافاعي السامة . والهواء المتحرك حركة لطيفة يشرح الصدور ويبعث النفوس ولكن اذا سكن فسد وتولدت فيه جراثيم الامراض . والآلات والادوات الحديدية اذا استعملت بقيت صقيلة لامعة واذا أهملت علاها الصدأ وادركها الفناء . وكذلك الانسان اذا قام بالاعمال المطلوبة منه امتلأ نشاطاً وقوة وحفظ رونق شبابه الى طور الشيخوخة واذا ترك العمل خسر صحته وقوته وشبابه وحياته لان اعضاءه مخلوقة للاستعمال لا للاهمال والاستعمال يحييها والاهمال يميتها فالعمل احسن مقومات الحياة وانجع مقويات الصحة وافضل الواقيات من الامراض المختلفة ولو تمرّن عليه المترفون المترفهون لقلت تشكياتهم من الوبالة والرهل والسمن الزائد وسوء الهضم وتمتعوا بكمال القوة والنشاط .

(٢) : انه غذاء العقل الذي يقويه وحصنه الذي يقيه فان العاكف على عمله يتمكن من زيادة معرفته وترقية ادراكه بما يكتسبه من الدربة والاختبار فيكون اقدر من غيره على تمييز الدقائق وكشف الحقائق ودفع المغارم وجر المغانم . والذي يترك العمل يتفرغ عقله للتفكر بالجرائم والآثام وتعتريه الوساوس والاوهام فيهيم في اودية الهموم وتعتلج في صدره الغموم او يمسي اسيراً لهواه او ييأس من هذه الحياة فيظهر الاختلاط في عقله وربما انتحر وجلب العار على اهله . ان يوماً واحداً من ايام الهواجس والهموم لاشد على النفس من شهر عمل واجتهاد لان الاهتمامات تنهك القوى وتشوش نظام العقل ولا شيء يحفظ ذلك النظام من التشويش غير العمل . قال جانكورت : اننا بواسطة عمل العقل نضمن راحة القلب . وروت احدى الجرائد انه عرض في فينا ذخيرة فاخرة مرصعة بالجواهر الكريمة وفي قلبها اربعة دبابيس عادية ولهذه الدبابيس قصة غريبة وهي ان الكونت لفنسكوفي زوج صاحبة هذه الذخيرة اتهمته الدولة الروسية بكلام قاله في حق القيصر وقائلة الكلام امرأته لا هو فلم يبرر نفسه فألقاه القيصر في سجن مظلم لا يرى فيه شيئاً وابقاه فيه ست سنوات . اما هو فلما

دخل السجن وضع يده على ثوبه فوجد فيه اربعة دبابيس فنزعها منه ورماها في ارض السجن ثم اخذ يتلمسها حتى وجدها فرماها ثانية وعاد ينتش عنها واستمر يرميها ويجدها مدة الست السنوات . وقد قال في سيرة حياته ان هذه الدبابيس شغلتني كل تلك المدة الطويلة ولولاها لجننت فلا عجب اذا جعلتها زوجتي حيلة من حلاها لانها حفظت عقل زوجها .

(٣) : انه درع الفضائل التي تقي الانسان سهام الرذائل . فان تركه وقضى وقته بالبطالة فتح اوسع الابواب للشر وتورط في اوحال البذاءة والاثم ولا سيما اذا كان من الشبان الاغنياء فتجتمع فيه اسباب الفساد الثلاثة التي ذكرها الشاعر في قوله :

ان الشباب والفراغ والجده مفسدة للمرء ايّ مفسده

فيتلف جسده وعقله وماله بمتاجره تلك الاسباب من التجارب الشيطانية لاشباع الشهوات الدنية . ولذلك قال بعضهم رأس الكسلان معمل الشيطان . وقال سكوت الروائي المشهور : انه كان يطرد شيطانه ويستعيذ من ابالسته بالعمل المفيد .

وحكي عن ربان احد المراكب انه كان لايدع بحارته بدون عمل لانه وجد ان البطالة تقودهم الى الخصام . فلو كان الناس كلهم يشغلون اوقاتهم بالاعمال النافعة لما بقيت لهم فرصة لارتكاب المنكرات ولفرغت السجون والملاهي والمراقص والحانات وهربت الشياطين وعمت الفضائل العالمين .

(٤) : انه آية الشرف والنبل وعنوان المروءة والفضل . فلا شرف ولا مروءة لبطال الكسلان ولو كان ابا قابوس او عبد المدان . فالفلاح الواقف على محراثه في حقله اعلى قدراً في نظر العقلاء من الامير الجالس على السرير المتسربل باثواب من حرير وهو بطال مكسال لا ينفع غيره بعمل من الاعمال . وقد جاء في بعض الامثال قولهم كلب يعمل خير من أسد يكسل .

ان العمل لا يحط شأن الرجل ولا يثلم شرفه كما يتوهم بعض المغرورين بانفسهم المتفاخرين بعلومهم وانسابهم بل يزيده مجداً وكرامة فقد قام من كل أمة رجال اشتهروا بالعلم ورفعة المقام ومع ذلك كانوا من رجال الاعمال ايضاً . فمن اليونان

طاليس رأس الحكماء السبعة وصولون المؤسس الثاني لاثينا وهيبراتيس الرياضي وكثيرون غيرهم وكلهم كانوا يشتغلون بالصناعات ليكسبوا رزقهم . وافلاطون الحكيم المشهور كان يبيع الزيت وهو يطوف بلاد مصر وينفق مما يربحه منه .

ومن العرب ابو بكر الصديق كان بزازاً وعمرو بن العاص كان جزازاً وابوحنيفة النعمان كان خزازاً وكثيرون من امرائهم وعلمائهم كانوا فلاحين اونجارين اوحجارين او قصارين .

ومن الانكليز شكسبير رأس شعرائهم كان يدير الملاعب ويفتخر بادارتها وقيل ان اباه كان جزازاً وانه هو نفسه كان يعمل في صباه على ممشطة الصوف واسحق نيوتن كبير فلاسفتهم كان مستخدماً في مضرب النقود والن الكيماوي كان حائكاً . وفكتوريا ملكتهم المعظمة كانت تخيط بيديها القمصة وترسل بها الى الفقراء مع كثرة الشواغل السياسية والاعمال الادارية التي كانت مطلوبة منها .

ومن الروسيين بطرس الاكبر ملك روسيا كان يذهب متنكراً الى اوربة ويدخل معاملها تحت اسم الصانع بطرس ويتعلم الصنائع ويرجع الى بلاده ويعلم رعيته اياها !!!

ومن الاميركيين ابراهيم لنكن رئيس الولايات المتحدة كان دباغاً والرئيس كليفلند كان محامياً والرئيس ولسن كان استاذاً للتاريخ في جامعة مور بعد ان تعاطى فن المحاماة مدة . فكل هؤلاء العلماء والرؤساء والامراء وكثيرون غيرهم من ذوي النفوس الكبيرة والمراتب الخطيرة لم يستنكفوا من الاعمال اليدوية والاعمال العقلية ولم يحسبوها دون اقدارهم او ثالمة شرفهم بل كانوا يسرون بممارستها ويعرفون انها نافعة لهم ولاوطانهم ويحضون غيرهم على الشعور بواجب العمل والقيام به لانه آية الشرف .

(٥) : انه سلم الارتقاء الى اعلى المراتب والتربع في ارفع المناصب فكم وضيع حقير نال باجتهاده في العمل رتبة امير كبير او وزير خطير وحسبنا ثبتاً لذلك ان نذكر بعض الذين ارتقوا باعمالهم من اصول وضيعة الى مراتب رفيعة . فمنهم اللورد

لنترون قاضي القضاة في بلاد الانكليز الذي نبغ من حانوت الحلاق . قيل انه اخذ مرة ابنه بيده وأراه دكاناً صغيراً وقال له انظر الى هذا الدكان فان ابي جدك كان يحلق فيه للناس و يأخذ اجرة على الرأس ما يساوي عشرين بارة وهذا هو ثروتي العظيم . ولويد جورج رئيس الوزارة الانكليزية المشهور الذي ارتقى من حانوت الاسكاف . واندروجنسن رئيس الولايات المتحدة المشهور بذكاء العقل الذي بلغ مقام الرئاسة من دكان الخياط قيل انه القى خطاباً في مدينة واشنطون واخذ يراجع فيه تاريخ حياته و كيف ارتقى من درجة الى درجة الى ان صار رئيساً للولايات المتحدة ففتح الجمهور بصوت عظيم قائلين من الخياط فصاعدا . قال مرة يعيرني بعضهم باني كنت خياطاً ولكنني لا ارى في ذلك شيئاً من العار لانني وانا خياط كنت مشهوراً بالامانة والمهارة في صناعتي و كنت دائماً اخيط الثياب خياطة جيدة متينة وأسلمها الى أصحابها في الاجل المعين . وجيمس غارفيلد رئيس الولايات المتحدة المشهور بشجاعته ونقواه الذي كان يتيماً فقيراً ونشأ في مزرعة حقيرة ولكنه ظل يجد في اعماله المختلفة ويرتقي من فلاح الى سائق ومن سائق الى ربان سفينة ومن ربان سفينة الى استاذ مدرسة ومن استاذ مدرسة الى رئيس مدرسة ثم عضو مجلس ثم قائد جيش ثم رئيس جمهورية فتسنم بالعمل المستمر والجد المتواصل غارب العز والمجد وبلغ اعلى ذرى النجاح والسؤدد . وكفى بذكر هؤلاء الرجال العظام دليلاً على ان العمل سلم الارتقاء من حضيض الفقر والهوان والدناءة الى قمة الغنى والمجد والعظمة ومن تتبع سير الاشراف والعظماء في كل أمة تبين له ان كثيرين منهم نشأوا من اصول وضيعة ونالوا بجدهم في الاعمال المختلفة مراتب رفيعة .

(٦) : انه سرّ السعادة الحقيقية فالعامل النشيط سعيد وان كان فقيراً والبطال البليد شقي وان كان اميراً . سئل اديسون المخترع الاميركي المشهور ماهي السعادة ففكر قليلاً ثم قال : « هي العمل » وقال رسكن ما معناه : « احسن دواء يوصف للمنقبض الصدر الكاسف البال الذي وهن من الهمّ عظمه وذاب من شدة الحزن جسمه ان يعمل من الصباح الى المساء فينجو من شر الحزن و يزول عنه الوهن . قال احد الفلاسفة : « السعادة بثلاثة اشياء — شيء تعمله وشيء تحبه وشيء تأمله » . وقال احد الافاضل

بعد ان اختبر احوال البشر : « جبت البلاد وشاهدت صنوف العباد فلم ار اسعد ممن تحسن يده عملاً او توجد شيئاً جديداً فهذا الذي يحصل على مقومات الحياة و يفرح بعمله . نعم ان اكثر العملة ليسوا اغنياء لكنهم يسرون كالاغنياء بحصولهم على ما يحتاجون اليه و يفوقونهم مسرة بابتهاجهم باتقان اعمالهم ولذلك تراهم يواظبون عليها بلا ملال و يودون ان تطول ساعات النهار كي لا يتركوا تلك الاعمال » . والخلاصة انه ليس للناس في الشبيبة والشيخوخة احسن من العمل يسلون به آلام هذه الحياة وارزاءها و يزيلون به همومها وشقاءها وقد تبين ان في الاعمال على اختلاف انواعها سلوى لا توجد في شيء من لذات البطالة والكسل وان الكسل يتعب اكثر من العمل بل ان العمل يجدد الشبيبة و يبعد الشيخوخة و يطيل العمر بما ينشئه في نفس العامل من اللذة والسرور و به يعرف الانسان معنى الحياة ومعنى الراحة والسعادة فلا تكون حياته نافعة ولا صالحة ولا شريفة ولا سعيدة الا اذا انزه عن البطالة والكسل وقرن عمله بالعمل . ومع ان هذه الحقيقة واضحة كالشمس للذي عينين نرى الناس يختلفون في مراعاتها وهم بهذا الاعتبار اربعة اقسام :

الاول — الجهلاء البطالون وهم الذين لا يعرفون علماً صحيحاً ولا يأتون عملاً مفيداً وانما تنقضي عليهم الاوقات وهم متجولون في الاسواق والطرقات او منغمسون في الشرور والمنكرات او مواظبون على المراقص والحانات او متفاخرون بالمظالم والتعديات فيعيشون كالصوراي الجائلة في البراري و ينفقون مما ورثوه عن آبائهم من الاموال او سلبوه من غيرهم بالغش والاحتيال او النهب والاختلاس او التسول والالتماس فهم ادنى من الحيوانات الداجنة التي يستخدمها الانسان لركوبه وحمل اثقاله او مساعدته على القيام باعماله لان لهذه الحيوانات منافع جمة ومالاولئك الجهلة البطالين سوى الاضرار ولا فائدة لهم من الحياة الا الفضيحة والعار فخيرٌ لهم ان يكونوا جثثاً هامدة او خشباً مسندة او قطعاً من طين من ان يكون علقاً او عقارب او افاعي او شياطين .

الثاني — المتعلمون البطالون وهم الذين يتخرجون في المدارس العالية او الجامعات من فتيان وفتيات و يدرسون العلوم والفنون المختلفة ولكنهم لا يرغبون في عمل ولا يلتذون الا بالكسل مكتفين بنيل الشهادات مزدرين بالحرف والصناعات متسربلين

بالكبرياء والخيلاء مترفعين عن طبقة العمال البسطاء مزجين اوقاتهم بالثوباء والمطواء فبتردد الفتيان منهم بلا عمل على بيوت الاغنياء والعظماء ويتوقعون الرزق بلا سعي ولا عناء ويرفلون بملابس العلماء وهم افرغ من جمام سابلط وافلس من بن المذاق . وتقتصر الفتيات على التباهي باحراز المعارف العديدة والاستكثاف من الاعمال البيتية المفيدة واتباع الازياء الجديدة ويشغلن الاوقات الطويلة بارتداء الاثواب الجميلة ويخجلن آباءهن او ازواجهن النفقات الثقيلة وربما كانوا من اهل الصناعات الذين لايفضل دخلهم عن الاقوات . وكل هؤلاء المتعلمين والمتعلمات البطالين والبطالات لاتقل اضرارهم عن اضرار الكسالى الجهلاء بل ربما كانوا اوفر منهم اضراراً واكثر اوزاراً لانهم اقدر على الافساد والايذاء واخبر بضروب الخبث والدهاء واعرف بوسائط الشر والشقاق واساليب الخداع والنفاق بما اكتسبوه من انواع العرفان التي تقوي المدارك وتشحذ الاذهان . ولقد صدق من قال شر الفتيان المتعلم المتبطل المتفاسف المتعطل .

الثالث — الجهلاء العاملون وهم الذين لا يعرفون شيئاً من العلوم العصرية ولا المسائل الفنية لكنهم يعكفون على الاعمال بهم لا تعرف الملال ليحصلوا رزقهم ورزق العيال وهؤلاء اقل ضرراً من الفريقين الاولين لانهم لا يحبون الكسل ولا يستنكفون من العمل ولا يطمعون في اموال الناس ولا يستعملون الغش والاختلاس وانما تبقى اعمالهم خالية من الاتقان بادية النقصان غير خارجة عن حد التقليد ولا مزينة بطلاوة الجديد لجهلهم الفنون التي تمكنهم من الاحكام والابداع والتفنن والاختراع فتمرّ عليهم السنون واحوالهم المدنية لا تتغير وطرق معايشهم لا تتحسن ومن قابل بين الفريقين الذين اخترعوا اعجب الآلات الزراعية والصناعية واكبر السفن والقطرات البخارية والسيارات التي تسابق الرياح والطيارات التي تحلق فوق كل ذي جناح — والشرقيين الذين لا تزال آلاتهم وادواتهم الزراعية كالمحاريث والمناجل والنوارج ومركباتهم التي تجرها الثيران كما كانت عليه من قديم الزمان عرف ان السبب في تأخر الشرقيين انما هو جهلهم وان كانوا عاملين . فالعمل وان كان ضرورياً وشريفاً لا يغني عن العلم ولا يضمن الترقي للامة ما دامت غارقة في لجة الجهل .

الرابع — المتعلمون العاملون وهم الذين طبقوا حياتهم على المبادئ الشريفة التي تعلموها وبرهنوا على صدق اقوالهم بحسن افعالهم وخدموا شعوبهم واوطانهم بمعارفهم المختلفة وافادوا العالم كله بما توصلوا اليه بعلومهم من الاعمال العظيمة وما الفوه من الكتب النفيسة وما اخترعوه من الآلات النافعة وما اكتشفوه من الاقطار الشاسعة والادوية الناجعة كالفارابي وابن سينا وابن رشد وابن زهر وثابت بن قرة وغيرهم من علماء الشرق وكولمبوس وباستور وكوخ وجنر وداروين وغيرهم من علماء الغرب . هؤلاء هم العلماء الحقيقيون الذين طبقت شهرتهم الآفاق وخلدت اسماؤهم واعمالهم في بطون الاوراق وعمّ فضلهم القريب والبعيد واكتسبوا الثناء الطيب والذكر الحميد . الى امثال هؤلاء الرجال العاملين تحتاج الامة السورية في هذا العصر وباعمالهم الجليلة ترتقي وتنال العز والفخر . ان الجهلاء البطالين قد أوهنوها وأخروها والعلماء الكسالى قد افسدوها ومزقوها . والجهلاء العاملين لم يستطيعوا ان يرقوها . فلم يبق لها أمل الا في المتعلمين العاملين الذين عليهم يتوقف رفع شأنها وتثبيت أركانها . ان سورية اجود البلاد هواء واعذبها ماء واطيبها تراباً واكثرها إخصاباً وقد كانت في ما سلف من الازمان مأهولة بألوف الالوف من السكان الذين سبقوا الى المدنية والعمران . واشتهروا بالفضل والعرفان . وكانوا ذوي عز وسطوة ومجد وثروة لانهم كانوا يعملون بعلمهم في الزراعة والصناعة والتجارة والادارة فكانت ارضهم تفيض لبناً وعسلاً وكانت مصنوعاتهم الذهبية والفضية والنحاسية والحديدية والزجاجية والخشبية والحجرية والخزفية وملابسهم الحريرية والكتانية والصوفية واصباغهم الارجوانية والاسمانجونية مما يتفاخر باقتنائه الشرفاء والاغنياء وتتزين به قصور الملوك والعظماء فاثاروا بمعارفهم الافكار وعمروا باعمالهم الاقطار . ولكنهم لما اخذوا يهملون العمل بعلمهم أصبحت جبالهم جرداء وسهولهم جدباء وكل غلاتهم لا تفي بحاجاتهم وامسى اكثر ما عندهم من حلي وثياب وعطور واطياب واثاث وآلات وامتعة وادوات حتى الابر والمسامير والمفاتيح وزجاج الشبابيك والساعات والمصابيح من صنعة غيرهم فهبطوا من قمة مجدهم الباذخ وعزهم الشامخ الى حضيض الذل والفقر ونسبوا ذلك الى جور الدهر وما الدهر بجائر ولا مسيء . ولكن الهمم اذا فترت والبصائر اذا خسرت والايدي اذا قصرت .

فالقوة تتحول الى الضعف والعز يتبدل بالخسف . اننا لا ننكر فضل النهضة العلمية الحديثة في هذه البلاد ولا نيأس من تقدمها في سبيل العمران الى ان تسترد مجدها القديم وتجاري الامم الراقية برعاية الدولة المنتدبة المعظمة وعناية الحكومة الوطنية الجليلة . ولكننا نشعر بانه وان كانت الحاجة الى تكثير سواد المتعلمين شديدة فالحاجة الى العمل بالعلم أشد . وهذا ما أريد الكلام عليه وتوجيه الافكار اليه وقد جعلت مدار كلامي على ثلاثة امور :

الاول العمل الواجب على المتعلمين ان يقوموا به لنفع الافراد والاسر والامة والمجتمع كافة وهو مختلف باختلاف نوع العلم الذي حصلوه ومقداره فلا يطلب من المرأة المتعلمة ما يطلب من الرجل المتعلم ولا يجب على متعلم الطب ما يجب على متعلم الشرائع ولا يكلف المشارك في بعض العلوم ما يكلف المتبحر فيها بل يجب على كل متعلم ان يعمل بما تعلمه لاجل خير نفسه ونفع ابناء جنسه . واهم الاعمال التي تحتاج اليها الامة وتتوقعها من رجالها المهذبين ما يأتي :

(١) : الاهتمام بحفظ الصحة العامة وهذا مطلوب من الاطباء والموظفين بدائرة الامور الصحية على الخصوص ومن كل متعلم على العموم فلا يليق بمن تعلم الطب وانفق في سبيل تحصيله السنين الطوال والمبالغ الطائلة من الاموال ان يترك هذه الصناعة الشريفة الضرورية لخدمة الامة ويتعاطى غيرها كما فعل بعضهم . ولا يجوز لموظف في دائرة الامور الصحية ان يكتفي بالحصول على الوظيفة لكي يتناول مرتبها دون ان يقوم بواجباتها بالامانة والشرف كأن تلك الوظيفة لم توجد الا لاجل معاشه . ولا يحسن بمن تعلم قوانين حفظ الصحة في المدرسة ان يخالفها بترك الرياضة البدنية او بالسهر المفرط اوالشراهة اوشرب المسكرات اوالتدخين اوالتعرض للامراض المخزية التي تجلب عليه العار وتتلف حياته وحياة ذريته بعد ان عرف ان كل ذلك مضر بصحته وصحة المجتمع كله . بل يجب على كل هؤلاء ان يسلكوا بحسب القوانين الصحية بكل تدقيق ويقاوموا الاوبئة والامراض بالوسائط الواقية ويعالجوها بالادوية الناجعة فتحفظ صحتهم وصحة الامة وبذلك تسلم العقول ايضاً لان العقول السليمة في الجسوم الصحيحة فان لم يعمل المتعلمون بعلمهم في هذا الشأن

تفشت في الامة الامراض والاسقام وفتك في افرادها الموت الزؤام فقل عدد رجالها وتشوش نظام احوالها وطمع فيها اعداؤها وازف سقوطها وفناؤها .

(٢) : السعي الحثيث لكل ما يرقي العقول وينير الاذهان وهذا مفروض على المربين والمعلمين وخصوصاً الآباء والامهات المتعلمين والمتعلمات لان المدرسة الاولى هي مدرسة البيت فلا يجوز للاب المتعلم ان يجعل كل اهتمامه بالدرس والمطالعة والتأليف والمراجعة ويهمل تربية اولاده العقلية والادبية ولا يحق للام المتعلمة ان تلهو بالاجتماعات العلمية والاحاديث الادبية والزيارات الحبية عن تثقيف عقول اولادها بل يجب على الوالدين كليهما ان يهيئا عقول اولادهما لقبول المعرفة باحياء قوة الملاحظة فيهم وتقويتها وتلقينهم مبادئ العلوم منذ الصغر بالطرق المختصرة السهلة لكي يستعدوا لدخول المدارس ويكونوا فيها ناجحين لان التربية البيتية اساس التربية المدرسية ومن لم يتأسس على العلم والادب عند والديه يندر ان ينبغ في المدرسة . ويجب على المعلمين ان يذكروا ان التلاميذ امانة الله عندهم وان يبذلوا جهدهم في تنوير عقولهم بالعلم الصحيح الكافل بتأهيلهم للرجولية الحقة ويجب على الموظفين بدائرة المعارف ان يهتموا بتكثير عدد المدارس وترقية شؤونها وتعيين المدرسين الاكفياء الوطنيين المهذبين الذين يعتبرون التعليم خدمة وطنية شريفة لا حرفة يقصد منها الارتزاق ومراقبة التدريس وتحسين اساليبه بحيث يكون صالحاً لتنشئة رجال قادرين ان يقوموا بحاجات الامة وينهضوا بها الى مستوى الامم المتمدنة فانه مامن امة ارتقت الا بالمعارف وحسبنا برهاناً على ذلك ارتقاء اليابان السريع فانه لم يتم الا ببث العلوم بواسطة المدارس الوطنية الراقية .

وخلاصة القول انه يطلب من الذين تعلموا ووكل اليهم امر التعليم ان يهتموا كل الاهتمام بالقيام بهذا الواجب المقدس باذلين كل قواهم في تثقيف العقول وتنوير الاذهان بالمعارف المختلفة الضرورية لنجاح الامة ادبياً ومادياً وبذلك يكونون قد عملوا بعلمهم . فان قصروا في هذا الواجب بقي الجهل سائداً والعقول مظلمة وارباب الاعمال عاجزين عن اتقان اعمالهم فانحطت الافراد والامة جميعاً ولم يبق للتمدن فيها من اثر .

(٣) : اصلاح الآداب العامة وهذا مطلوب من علماء النفس والاخلاق ورؤساء الاديان والخطباء وارباب الصحف والمجلات الادبية فيجب على هؤلاء وامثالهم ان يجتهدوا في ترقية الآداب الصحيحة ورفع منار الفضائل ومكارم الاخلاق لان الامم باخلاقها وآدابها فان قصروا في هذا الواجب انتشر الفساد وعم الكفر والالحاد وانحطت الجماعات والافراد وساءت الاحوال وخربت البلاد والتاريخ اعدل شاهد على صحة ذلك . والآثار القديمة على ضفاف دجلة والفرات والنيل وشواطئ بحر ايجه وجرش وتدمر وبعلبك والبتراء الدالة على ما كان للامم السالفة من المدنية الزاهرة التي اضمحلت لفساد الاخلاق اي عدم العمل بقوانين الآداب الصحيحة وعدم السير في مناهج الفضيلة — تلك الآثار تؤيد شهادة التاريخ وتثبت صحة القول ان الآداب الصحيحة والاخلاق الفاضلة والعواطف الشريفة هي اساس تقدم الامم وارتقائها وسبب نموها وبقائها . قال احد علماء الجرمان : ان الحكم على مستقبل كل امة يعرف من حالة شبانها العقلية والاخلاقية .

فمن اهم الواجبات سعي المهذبين والواعظين لاصلاح الآداب والاخلاق العامة ومن الضروري ان يكونوا قادرين على اضرام محبة الفضيلة في صدور القوم حائزين اسمى المبادئ والصفات الحسنة سالكين بحسب قوانين التهذيب الصحيح وقواعد الدين القويم لتكون اعمالهم مطابقة لاقوالهم ويكونوا امثلة صالحة للذين يهذبونهم ويعظونهم والا صدق عليهم قول الشاعر :

يا أيها الرجل المعلم غيره ... هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء الذي السقام مطيباً ... كي ما يصح به وانت سقيم
لا تنه عن خلق وتأتي مثله ... عار عليك اذا فعلت عظيم

وقول الآخر :

فكم انت تنهى ولا تنتهي ... وتسمع وعظاً ولا تسمع
فيا حجر الحد حتى متى ... تسن الحديد ولا تقطع

(٤) : تحسين الزراعة والصناعة والتجارة وهذا مطلوب من الذين درسوا العلوم والفنون المتعلقة بهذه الامور كالكيمياء والطبيعيات والفنون الجميلة فيجب على هؤلاء

المتعلمين ان يبذلوا جهدهم في اتباع الطرق الحديثة الفنية وتطبيق ما تلقوه في المدارس وما طالعوه في الكتب على اعمالهم المختلفة . اني اعرف بعض الشبان الذين درسوا الفنون المشار اليها في مدارس اوربة وعادوا الى وطنهم وبايديهم الشهادات الناطقة باكمال دروسهم لكنهم لم ينفعوا بلادهم بشيء اي لم يتبعوا الاصول الفنية الحديثة في زراعة اراضيهم او في صناعاتهم بل بقوا تابعين الطرق القديمة التي كان عليها اسلافهم منذ قرون عديدة اما لانهم لم يتمكنوا من استحضار الآلات الزراعية او الصناعية بسبب غلائها وقلة مالهم او لانهم آثروا الاستخدام في دوائر الحكومة على الاشتغال بالزراعة او الصناعة او التجارة فذهبت اتعابهم واوقاتهم واموالهم التي انفقوها في سبيل تحصيل تلك العلوم سدى لانهم لم يعملوا بها . ولو عملوا لانقنوا الفلاحة والزرع والغرس والتخصيب والسقي وزادوا الاراضي المزروعة اليوم اضعاف مساحتها فعادت الى ما كانت عليه قديماً من الخصب ووفرة الغلال وتدفقت منها سيول الاموال وتحسنت بذلك جميع الاحوال والاعمال .

(٥) : احياء اللغة القومية وهي اللغة العربية في بلادنا وتخليصها من الالفاظ العامية والشوائب الاعجمية وهذا مطلوب من اساتيذها وادبائها وخطبائها وكتابها والمجامع اللغوية المؤسسة لهذه الغاية فلا يليق بالاستاذ ان يشرح لتلاميذه احكام اللغة الفصحى بالالفاظ السقيمة والتعابير الركيكة ولا يحق للخطيب ان يستعمل اللغة العامية في خطبه العلمية او يلحن في الفاظه فيرفع المجرور ويجر المنصوب او يحرف الكلم عن مواضعه راوضاعه ولا يجوز للكاتب ان يحشو رسائله ومقالاته بالتعابير السوقية والاغلاط اللغوية والنحوية والبيانية ولا لاعضاء المجامع اللغوية ان يتركوا لغتهم تتأخر عن مجاراة لغات العصر بل يجب على هؤلاء كلهم ان يجتهدوا في مراعاة قواعدها وسد ثلمها بوضع كلمات جديدة للمستحدثات العصرية اما بالاشتقاق او بالتعريب او بالنحت لكي تحيا وتنمو لان اللغة التي لا تنمو تموت واذا ماتت اللغة ماتت الامة التي تنتسب اليها اذ لا بقاء لامة بدون لغتها واذا قصر علماؤها عن السعي لاحيائها لم يكونوا عاملين بعلمهم ولا نافعين لامتهم .

(٦) : المحافظة على حقوق الافراد والجماعات ونشر العدل والامن في البلاد وهذ

مطلوب من خريجي مدارس الحقوق الذين تبوأوا مناصب الحكومة او تعاطوا المحاماة فان العدل اساس الملك والامن علة استتباب الراحة والطمأنينة ودوران دولاب الاعمال المختلفة فان لم يجتهد هؤلاء الرجال في القيام بوظائفهم بالحكمة والرزانة والنزاهة والامانة ضاعت حقوق العباد وكثر الظلم والفساد وعم الخراب البلاد وان قاموا هم وغيرهم من المتعلمين بالاعمال المطلوبة منهم حق القيام ارتفع شأن الامة وحسنت احوالها المادية والمعنوية واستطاعت ان تجاري الامم الراقية في سلم المدنية . فان قيل ان كل اهل الصناعات والوظائف الذين مر ذكرهم عاملون بعلمهم وقائمون بوظائفهم قلت لاريب ان كثيرين منهم متممون الواجب فهم مستحقون اطيب الثناء ولكن كثيرين منهم ايضاً مقصرون في اعمالهم فهم مستحقون التقريع واليهم يساق الكلام ونحوهم تسدد أسنة الملام اعلهم ينتبهون من غفلتهم ويشعرون بخطإهم فيبادروا الى اصلاح انفسهم باصلاح مبادئهم وغاياتهم فان نتائج الاعمال تتوقف على غايات العمال فان كانت الغايات تحصيل المال او المجد او المدح بطلت الفائدة المنتظرة من اولئك المتعلمين وايضاحاً لذلك اقول ان الطبيب الذي لايهتم الا بقبض الاجرة من عليله والحاكم الذي لايبالي الا بتعظيم الناس له وتسبيحهم بحمده والخطيب الذي لايهمه الا اظهار ما عنده من البلاغة وحسن الالقاء وسعة المعرفة ليحمل الناس على الاعجاب به واذاعة فضله على صفحات الجرائد والمجلات — هؤلاء كلهم وامثالهم من المتعلمين لافضل لهم على الامة ولا فائدة منهم لها . ولكن ان كانت غاية الطبيب انقاذ المريض من خطر الموت وغاية الحاكم انصاف المظلوم من الظالم وغاية الخطيب تنوير اذهان السامعين وبث روح الفضيلة فيهم وغاية الاستاذ انقاذ تلاميذه من مخالب الجهل وغاية المحامي المدافعة عن الحق الصريح ومقاومة الباطل وغاية الامام او القسيس ارشاد الضالين الى محجة الحق المبين كانت النتائج حسنة مطابقة لحاجات الامة منضافرة على حفظ كيانها ورفع شأنها . قيل ان احد السياح مر بصرح ثم حوله مئات من العملة يشتغلون بترميمه ورأى على مسافة قريبة منه مقطعاً للحجارة فيه ثلاثة رجال يعملون فدنا منهم وسأل كلاً منهم قائلاً ماذا تعمل في هذا المكان فقال الاول اني اشتغل بنصف دينار كل يوم وقال الثاني اني اقطع حجارة تطابق هذا الرسم الذي تراه امامي وقال الثالث اني أساعد

رفاقي في بناء ذلك الصرح الذي سيكون مجلساً لنواب الامة فسر السائل بالجواب الاخير لانه دل على ان غاية ذلك العامل لم تكن تحصيل المال ولا اطاعة امر المهندس كما كانت غاية رفيقيه بل الاشتراك في خدمة المصلحة العامة . وكل عاقل يجب عليه ان يراعي في عمله هذا المبدأ ويقصد هذه الغاية ذاكراً ان عمله مرتبط بمصلحة الامة والمجتمع وانه يجب عليه ان يساعد على قدر طاقته في بناء مجد الامة وحضارتها وبذل جهده في ترقيتها واسعادها والمحافظة على كرامتها .

الثاني الاسباب التي توجب على المتعلمين ان يعملوا بعلمهم وهي :

(١) : ان العمل هو البرهان القاطع على صحة العلم والوسيلة الوحيدة لتكميل الانسان فمن لم يأت عملاً مفيداً لنفسه ولابناء جنسه لم يكن علمه صحيحاً وقد ثبت بالاختبار ان الانسان لايكمل بالعلم وحده اي ان عقله ومداركه ومعارفه واخلاقه انما تصلح وتكمل بالاجتهاد في العمل لا بمجرد الدرس والعلم فيجب على المتعلمين ان يعملوا بعلمهم لكي لاتكون دعواهم باطلة ولا سجاياهم ناقصة .

(٢) : ان المتعلمين هم اعرف الناس بوجوب العمل وشدة الحاجة اليه ووفرة فوائده واقدرهم على اتمامه واتقانه فيتوقع منهم ان يقوموا به اكثر مما يتوقع من سواهم فان قصروا في ذلك كان ذنبهم اعظم من ذنب المقصرين من الجهال وكانت خسارة الامة بسبب تقصيرهم اكبر من خسارتها بسبب تقصير غيرهم فيجب عليهم ان يعملوا بعلمهم لئلا يجنوا على انفسهم وعلى وطنهم .

(٣) : ان المتعلمين هم هداة الامة الى الطريق الاقوم وقادة افكارها الى الخير الاعظم بما اقتبسوه من انوار العلم الساطعة وما عرفوه من حقائقه اللامعة وقد اجمع اهل التحقيق على ان الهداية بالاعمال خير من الهداية بالاقوال وقيادة الجيش تستلزم السير معه بل امامه فان اقتصر المرشد على الوعظ والتعليم دون ان يسلك في السبيل المستقيم لم يكن وعظه ناجعاً ولا تعليمه نافعاً وان ترك القائد جيشه يسير وحده ونام عرضة للتشتت والانهزام فيجب على المتعلمين ان يعملوا بعلمهم ليتمكنوا من هداية الامة واصلاحها .

(٤) : ان غاية كل تعليم وتهذيب وتثقيف وتدريب انما هي الاستعداد للاعمال

المفيدة فان اهمل المتعلمون هذه الغاية او تكاسلوا في اتمامها وتحقيقها ذهبت الاوقات والاموال التي انفقوها في تحصيل العلم سدى وخابت فيهم آمال الوالدين والمربين والمعلمين والوطن وكان مثلهم كمثل طباع بخيل انفق عمره في جمع المال ثم دفنه في الارض ولم يخبر احداً بموضعه ومات غير مأسوف عليه فذهب ماله ضياعاً لم ينتفع هو به في حياته ولا تركه لاحد يستفيد منه بعد مماته . فيجب على المتعلمين ان يعملوا بعلمهم لتبلغوا الغاية التي لاجلها تخرجوا في البيوت والمدارس فيحصل النفع لهم ولغيرهم .

الثالث شروط النجاح في العمل وهي :

(١) : حبه واحترامه والشعور بوجوبه فالذي يحتقره ولا يراه واجباً عليه ولا ضرورياً لخيره وخير شعبه ويعتقد انه في غنى عنه وانه غير مكلف ان يخدم وطنه به لا يمكن ان ينجح في عمل من الاعمال اذا اضطر اليه او أرغم عليه ولذلك نرى بعض الذين كانوا اغنياء وبددوا ثروتهم بالعيش المسرف وأضاعوا اوقاتهم باللهو واشباع الشهوات الجسدية ثم اضطروا الى عمل يحصلون به قوتهم الضروري فتعاطوا بعض الاعمال ولكنهم لم ينجحوا في شيء لانهم لم يتعودوا الا الازدراء بالاعمال والعمال بخلاف الذين شعروا بوجوب العمل واحترموه وتمرنوا عليه فانهم نجحوا في كل ما تعاطوه من الحرف والصناعات وأفادوا أوطانهم فوائد جمة . ان ملوك الغرب في هذا العصر يعنون باولادهم وحفدتهم الى دوائر الاعمال المختلفة بعد تخرجهم في المدارس العالية والجامعات الكبرى ليتعلموا الحكمة العملية ويتأهبوا للجلوس على عروش الممالك وذلك دليل على احترامهم العمل وسبب نجاحهم فيه . فعلى الوالدين من عامة الناس ان يقتدوا بأولئك الملوك في تربية اولادهم على حب العمل واحترامه والشعور بانه واجب وضروري لكي ينجحوا في أعالهم المتنوعة وينفعوا انفسهم واوطانهم .

(٢) : الاقدام بلا تردد ولا خوف من المصاعب لان الاحجام عن العمل دليل الجبن والجبان لا ينجح ومن يتردد في عمله ولا يقتحم كل صعوبة ولا يدوس كل عقبة في سبيل الوصول الى غايته يقدم راسخة تخبط مساعيه ويعود بالخيبة والفشل بخلاف الذي يستسهل كل صعب ويقدم على عمله بعزم شديد وهمة تفري الحديد فلا يكل ولا يمل حتى يكمل سعيه وينال أربه فان نجاحه مؤكد وما أحسن قول الشاعر :

اذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة فان فساد الرأي ان تترددا
وان كنت ذا عزم فأنفذه عاجلاً فان فساد العزم ان يتقيدا

(٣) : عدم التأجيل فالذي يؤجل ما يجب عمله اليوم الى الغد لا ينجح لان التأجيل يلد التهاون والغد مجهول امره وله عمل آخر واذا أجّل عمل كل يوم الى ما بعده تراكمت الاعمال وزادت الصعوبات فتعسر القيام بالواجب او تعذر وانقطع أمل النجاح . سُئل احد وزراء فرنسا وكان ينجز أعمالاً كثيرة في وقت قصير بم تستطيع ان تنجز كل هذه الاعمال فقال بعدم تأجيلي الى الغد ما أقدر ان أعمله اليوم . وكتب احد الشبان الى السيد ولترسكوت يطلب نصحه وكان قد دخل في منصب جديد فأتاه الجواب بهذه الصورة :

« احترس من البطالة ولا تؤخر عملاً يجب القيام به ولتكن أوقات الراحة بعد العمل لا قبله فانه اذا سار جيش واضطربت مقدمته قليلاً حدث اضطراب عظيم في ساقته وهكذا الحال في الاعمال فان لم تعمل عمل كل يوم في يومه فعما قليل تزدحم عليك الاعمال فتضيق بها ذرعاً فاحذر التأجيل » .

(٤) : اعتبار قيمة الوقت والمحافظة عليه فالطبيب او المحامي او الاستاذ او الحاكم او الرئيس الذي يسهر مع رفقائه الى ما بعد نصف الليل ويبقى في سريره الى قرب الظهر لا يقدر ان ينجح في عمله لانه اضاع وقته بلا فائدة او في ما يضره وكذلك الذي يقضي ساعات النهار في اماكن اللهو لاعباً بالنرد او الورق او غيره من الملاهي ويقتل وقته بما يضر ولا ينفع هو بعيد عن النجاح . قال الملك لويس الرابع عشر : « المحافظة على الوقت من كمالات الملوك » . والحق انها من واجبات الاشراف والعلماء والعمال أيضاً . ولا شيء يساعد على وجود هذه الصفة في الانسان مثل تعوده انجاز كل عمل في حينه فمن ارتبط في عمل ولم يأخذ فيه بالوقت المعين عدّ مخلفاً بل مجرماً ما لم يكن له عذر مقبول ومن لا يهتم بالوقت لا يهتم بالعمل ولا يستحق ان يؤتمن على اعمال ذات شأن وبالنتيجة لا ينجح في حياته .

(٥) : الامل او توقع النجاح فاليائس او الخائف او الفاتر الهمة الذي يعتقد انه غير قادر ان ينجح وان ليس امامه الا الخيبة والفشل لا يمكن ان يفلح في عمل

بخلاف الرجل الواثق بنفسه كل الثقة المتوقع الفوز الواضع السلاح نصب عينيه المتيقن اقتداره على العمل السائر الى غرضه بخطى ثابتة وقلب كبير ونفس عزيزة وهمة عالية فانه ينجح في مسعاه وينال مناه لان الامل يقويه على اقتحام المصاعب واحتمال المتاعب للفوز بالرغائب ونيل المطالب ويدفعه الى السير في سبيل الواجب ولو كان مملوءاً بالاخطار كما يدفع البحار السفينة الى السير في وسط البحار . والامل ينشئ سروراً في النفس والسرور بالعمل يجعله هيناً . قال كارليل احد فلاسفة الانكليز : « أروني رجلاً يتغنى في اثناء عمله وانا أضمن انه يعمل في اليوم ضعفي ما يعمله المغضوب العبوس لان من يسير على نغم موسيقي قلما يشعر بالتعب » . فالمسرور بعمله ينجح والذي يذهب الى العمل حزيناً متذمراً منقبض الصدر عابس الوجه كأنه ذاهب الى السجن او الصلب لا يمكن نجاحه .

(٦) الاجتهاد والجد . قال الحكيم : يد المجتهدين تسود فما من احد احرز السيادة او الشرف او التقدم او الشهرة الواسعة الا دفع ثمنها كداً وجداً عظيمين ولا احد استطاع ان ينجح بالكسل والتواني وما احسن قول الشاعر :

تريدين ادراك المعالي رخيصة ولابد دون الشهد من ابر النحل

وقول الآخر :

تروم العز ثم تنام ليلاً ومن طلب العلى سهر الليالي

ان الذين بلغوا اعلى ذرى النجاح بكدهم واجتهادهم لايحصى عددهم فأقتصر على ذكر بعضهم بالاختصار على سبيل التمثيل . فمنهم ابو نصر محمد الفارابي الفيلسوف الشهير الذي اتبع الفلسفة اقصاها وادناها والف فيها كتباً لاتعد لكثرتها مع ما كان عليه من العوز فكان يسهر الليالي للمطالعة والتصنيف ويستضيء بمصباح الحارس وبقي على ذلك الى ان عظم شأنه وظهر فضله واشتهرت تصانيفه وكثرت تلاميذه وصار اوحد زمانه كما جاء في ترجمته المذكورة في كتاب عيون الانباء . ومنهم اسحق نيوتن اكبر فلاسفة الانكليز فقد قال صريحاً : « ان كنت قد خدمت العالم بشيء فباجتهادي وجلدي . ومنهم دزرائيلي الذي رقي الى اسمى المناصب بجده وكده . فانه لما كانت مساعيه الاولى تحبط لم يفعل كما فعل كثيرون من الشبان الذين اذا خابوا مرة وهت

قواهم ووقعوا في لجة اليأس بل ظل يجتهد ويجد حتى نجحت اعماله وبلغ مراده ومنهم بروم الذي خدم شعبه اكثر من ستين سنة وتعاطى الفقه والانشاء والسياسة والعلوم المتنوعة واتقن كل ما اشتغل به . ومنهم نابوليون الاول والقائد ولنتن وسائر الذين اشتهروا في العالم بالسياسة والعلوم والشرائع والصنائع والتآليف وبلغوا اعلى درجات الفوز بجدهم واجتهادهم فلا يطمعن احد في نجاح اعماله ما لم يجتهد كل الاجتهاد اي يصب كل قوته ويضع كل قلبه على كل عمل يأخذ فيه لانه (على قدر اهل العزم تأتي العزائم) . ولا يفيد الانسان علمه ولا ذكاؤه ولا وسائطه ولا مساعدات الاصدقاء له اذا هو لم يجد ويجتهد ويتعب عقله وجسده لانه لا شيء يثمر الا بالتعب والحياة جهاد مستمر . غير انه يجب الاحتراز من الافراط في التعب لئلا تتلف الحياة قبل بلوغ الامل فالاجتهاد غير الاجهاد كما ان الراحة غير الكسل والحكيم من عرف ذلك ولم يفرط في الاجتهاد الى حد الاجهاد ولا في الراحة الى حد الكسل .

(٧) : الامانة والاستقامة وهما من اهم شروط النجاح في كل الاعمال ولا سيما الطب والصيدلة والقضاء والمحاماة والوظائف المالية فالطبيب الامين المستقيم يكتسب ثقة الناس به ويتجح ولكن الذي يخدع مرضاه ليستنزف اموالهم لا يمكن ان يكسب ثقة الناس به ولا ينجح الا ريثما ينكشف خداعه . ان بعض الاطباء يضمنون الشفاء للعليل وهم على يقين من ان داءه عياء غير قابل الشفاء . وبعضهم يوهمون المريض بان مرضه عضال وحالته تنذر بالخطر مع علمهم بان مرضه بسيط لا شيء فيه من الخطر وكل ذلك الخداع ناشئ عن الاطماع . والصيدلي الصادق الذي يركب الدواء بحسب وصف الطبيب بكل تدقيق ولا يستعمل الغش في ادويته هو الذي يأتمنه الناس وينجح في عمله ولكن الذي يغير المقادير ويبدل العقاقير الغالية بالرخيصة ليتوفر له الربح يظهر غشه ويبتعد القوم عنه فيخسر مادياً وادبياً . والحاكم العادل الذي يراعي في احكامه الشرائع دون محاباة هو الذي يرضي الله والناس ويكتسب المدح ويرتقي في معارج الفلاح . ولكن الذي يراعي مصلحته وعواطفه دون الحق والعدل لايمكن ان ينجح نجاحاً حقيقياً وان اصبح بالرشوة غنياً لان تذنيب البريء وتبرئة المذنب بغية انتزاع الجيوب من اكبر

لآثام واعظم الذنوب واول دواعي الفشل وموجبات الخزي والخجل . والمحامي المستقيم الذي لايدافع الا عن الحق ولا يقبل وكالة المزورين هو الذي يربح الدعوى و ينجح في عمله ولكن المحامي الذي يدافع عن الباطل و يعلم الناس التزوير و يقبل وكالات المزورين بغية تحصيل المال بالحرام لا بالحلال لايمكنه ان ينجح الا ريثما يتكشف امره و يفتضح سره فيسقط قدره ويكره ذكره ويحببه الناس من اصحاب الجرائم و يمنع من الدخول الى المحاكم . والكاتب او المحاسب الامين الذي يحافظ على الصدق في اقواله والاخلاص في اعماله هو الذي ينجح و يرقي ولكن الكاذب او المختلس لايمكن نجاحه لانه اذا ظهرت خيانته او سرقته طرد من وظيفته وحرم حق الاستخدام . قيل ان مدير مال رو كفلر المثري الشهير كان في اول امره كاتباً لصيرفي في ولاية كنساس فأملى يوماً عليه رقماً وامره ان يقدم التاريخ ليخلص من تبعته فابى هذا الكاتب الامتثال لامره باسلوب لطيف فأمره ثانية فابى وحسب نتيجة الكذب شر النتائج فأمره ثالثة فابى وتوقع ان يطرده وقال غير مهتم بالنتيجة لا اقدر ان استخدم فمي للكذب وان ما تأمرني به هو كا مرك لي بالسرقة . وكانت النتيجة ان الصيرفي بدلاً من ان يطرد ذلك الكاتب زاد اكرامه وضاعف له مرتبه وائتمنه على كل شيء لانه تحقق صدقه وامانته فالامين في عمله هو الذي ينجح .

(٨) الاكمال فلا يصعب على الانسان ان يقصد الامور السامية ويبتدئ الاعمال العظيمة ولكنه يصعب عليه اتمامها اذا لم يكن من ذوي الرزانة والتعقل والدربة والمثابرة والثبات وما اكثر الذين يبدأون بمشروعات واعمال نافعة ثم يضجرون منها و يتركونها شاهدة عليهم بالطيش والجهل والتقلب والتردد . ان العمل الزهيد المتم باحكام افضل من الاعمال الكبيرة التي شرع فيها فاصدوها ولم يتموها . فالكوخ الحقير التام البناء انفع من القصر الذي وضعت أسسه ورفعت جدرانه ولم يكمل . ان كثيرين اشتهروا بالمقاصد السامية والفصاحة والبلاغة وحسن البيان وقوة الحجة ولكنهم لم يفيدوا جاهلاً ولا اصلحوا فاسداً ولا تموا عملاً كبيراً ولا صغيراً فاين هؤلاء من اهل الدأب العقلاء الذين ماشرعوا في عمل الاتموه وماقصدوا امراً الا ادركوه . ان خير الاعمال بالاكمال والحازم من تأمل في العمل قبل الشروع فيه فان تيقن انه قادر على اتمامه بدأ به والا

فخير له ان لايبدأ به بل يبدأ بما يقدر عليه و يجتهد في اكماله فلا نجاح في الاعمال الا بحسن الاكمال . ولا اجهل من الذين قادهم الطمع الى اعمال تستلزم اضعاف قدرتهم فقاموا بجزء منها وعجزوا عن اكمالها فتركوها فتولاها غيرهم وانتفع بجهلهم .

(٩) : الاتقان او الاحكام وهو شرط جوهري للنجاح في كل عمل فكما ان النجارين والحدادين والخياطين وغيرهم من اهل الصناعات لا يمكنهم ان ينجحوا ما لم يتقنوا مصنوعاتهم كذلك الاطباء والمحامون والكتاب والمنشئون والمعلمون والمهذبون وسائر المشتغلين بالعلوم والفنون يتعذر عليهم النجاح ما لم يحكموا اعمالهم . ان الاتقان يستلزم التأني والثبات لان العجلة تفسد العمل واحياناً تفسد الحياة ولذلك جاء في الامثال الشرقية قولهم: (في التأني السلامة وفي العجلة الندامة) . فمن شاء ان يتقن عمله فعليه ان لا يسرع فيه ولا يتوقف عنه ولا بد من الانتباه التام الى مواضع النقص بغية اكماله ومواطن الخلل لاجل اصلاحه حتى يكون العمل كامل الاحكام على اجمل ترتيب وأحسن نظام فان من بلغ في عمله الاتقان التام تفوق على أقرانه ونال المقام الاول بين اهل صناعته وحصل على المجد والكرامة بين من يعرفون فضله و يقدرونه قدره . فالخطيب المتقن صناعة الخطابة اذا ذهب الى لندن وألقى خطاباً في احد أنديتها أعجب به السامعون وتحدث ببلاغته الراوون ورحب به العلماء والادباء والخطباء والعظماء وذكرته الجرائد بالحمد والثناء . ودعي الى الخطابة في جميع الاندية الادبية وازدحمت عليه الجماهير لتلتقط منه الفوائد العلمية ونشرت خطبه المجلات الانكليزية وربما ترجمت الى غيرها من اللغات الاوربية . وما يناله الخطيب المتقن صناعته يناله الاديب والكاتب والطبيب والمحامي والاستاذ والمخترع وسائر العلماء اذا كان كل منهم متقناً عمله .

(١٠) : التفنن والابداع او التحسين فلا يكفي ان يكون العمل كاملاً متقناً بل يجب ان يتحسن على توالي السنين والايام والتحسين يستلزم الابتكار والاختراع والا لم يتم الارتقاء فان اكتفى العامل بتقليد غيره في عمله ولم يزد عليه شيئاً من مبتكراته بقي عمله في آخر حياته كما كان في اولها بل ربما بات أقل احكاماً في الشيخوخة مما كان عليه في الشبيبة لان مبدأ التقليد والاتباع مبدأ الضعف والتقهقر

وطريقة الابتكار والابداع طريقة القوة والتقدم . ان الطبيب الذي لا يزيد معرفته بالمطالعة ولا يحسن اعماله الجراحية بالممارسة لا يلبث ان يحسب في عداد الدجالين وقس عليه غيره من العلماء العاملين الواقفين على درجة واحدة فان وقوفهم هو عين التأخر . وكل أمة تفقد قوة التفنن والابتكار في أعمالها لا بد من سقوطها .

ان العصر عصر تجدد فلا يحسن البقاء على القديم الا اذا كان مطابقاً للعقل الصحيح وفائدته محققة . ولا يجوز الاستخفاف بالحديث او رفضه الا اذا كان فاسداً واضراره ثابتة . ان العقل الصحيح يقضي بوجوب الارتقاء والارتقاء لا يتم الا بتربية قوة التفنن والابتكار لكي تحسن الاعمال وتصلح الاحوال وحينئذ يتم الفلاح ويزداد النجاح . فعلى المتعلمين ان ينفضوا عنهم غبار الكسل ويجتهدوا في زيادة العلم وصلاح العمل شاعرين بالواجب المترتب عليهم للوطن والامة مظهرين كمال النشاط وعلو الهمة مراعين شروط النجاح في كل الاعمال ساعين للخير في كل حين وحال . والله سبحانه وتعالى هو الفعال لما يريد . وبيده التوفيق والاعانة .

لا يرقي البلاد الا علوم تتجلى بصالح الاعمال
فاعملوا صالحاً بما قد علمتم فرجال الاعمال خير الرجال

(انيس سلوم)